

تراث

شهرية تصدر عن نادي تراث الإمارات
السنة السادسة - العدد ٦٣
ذو الحجة ١٤٢٤هـ - فبراير ٢٠٠٤م

■ محمل الحج اليمني

■ ٥٣ عاما على إنشاء قوة
ساحل عمان

■ لغتنا الجميلة قادرة على
استيعاب العلم

■ تكريم حمام وإعادة الاعتبار
للأستاذ حمام!

■ عبد العال الباقوري يتساءل:
هل نستعيد تراثنا في معاجم
التراجم؟

■ د. الداية يكتب عن: «النكتة»

■ وصف الحبيب في الشعر
الشعبي

■ مراسم المسّم عن: العيد العود

■ سواف بوراشد عن:
خروف العيد

الحرمان الشريفان
عبر التاريخ



مفتاح للكعبة باسم السلطان المملوكي شعبان بن حسين

مفاتيح الكعبة المشرفة

■ د. صلاح أحمد البهنسي

استخدمت المفاتيح للكعبة المشرفة قبل العصر الإسلامي، فقد ذكر المؤرخ العمري أن تبعاً باكر بن أسعد اليماني الحميري رأى في نومه أنه يكسو الكعبة، وبعد غزوه ليثرب سنة ٢٢٠م، كسا الكعبة وجعل لها باباً ومفتاحاً، فهو بذلك أول من عمل مفتاحاً للكعبة^(١). وقد انفردت قبيلة بني شيبه وهم من أصحاب الرسول ﷺ بحفظ مفتاح الكعبة، وكان يتم فتحها حسب تقاليد ثابتة، فقد كان باب الكعبة يرتفع أربعة أذرع عن مستوى الأرض من حوله، فكان شيخ القبيلة المذكورة والذي بيده المفتاح يصعد على سلم من الخشب، ويصعد معه رجلان يرفعان ستار الديباج بحيث يحجب الشيخ وهو يفتح الباب، فإذا ما فتح الباب ارتفعت أصوات الموجودين بالدعاء، فيعرف أهل مكة أن باب الكعبة قد فتح، فيدعون هم أيضاً، فتحدث جلجلة عظيمة بالبلد، فيدخل الشيخ إلى الكعبة ويصلي ركعتين، ثم يخرج ويقف على الباب ويلقي خطبة وبعد ذلك يتوالى دخول الناس إلى الكعبة والصلاة فيها. وإذا ما تم ذلك يستمر فتح باب الكعبة أيام الاثنين والخميس والجمعة من شهر شعبان ورمضان وشوال، لكنه يغلق في ذي القعدة^(٢).

تصنع من الحديد في أوائل العصر العباسي، ثم عملت من البرونز بعد ذلك. أما أول من أهدى للكعبة قفلاً ومفتاحاً من الذهب فهو الخليفة العباسي المعتصم بالله بن هارون الرشيد، واستمرت المفاتيح تصنع من الذهب في العصر الفاطمي والعصر المملوكي، فقد بدأ ذلك السلطان بيبرس (٦٥٨-٦٧٦هـ / ١٢٦٠-١٢٧٧م)، وهو الذي أرسل كسوة ومفتاحاً للكعبة عليه اسم السلطان الظاهر والخليفة المستنصر بالله العباسي، ثم صار ذلك تقليداً اتبعه سلاطين المماليك في مصر، وهو ما أطلق عليه (المحمل)^(٣) ويحتفظ متحف

ذكر الرحالة ابن بطوطة أن باب الكعبة المصفتح بصفائح الفضة كان يفتح بعد صلاة الجمعة من كل أسبوع ويوم المولد النبوي فقط^(٤). وفي الفترة المبكرة من العصر الإسلامي وخلال العصور التالية صار عمل مفتاح للكعبة من الأمور التي يتنافس فيها السلاطين والحكام، لما لذلك من معاني دينية ودينيوية عندهم، إذ أن القائم على رعاية بيت الله الحرام، إنما يمثل في الوقت نفسه زعامة سياسية للمسلمين إلى جانب الزعامة الدينية. وقد مرت صناعة مفاتيح الكعبة بعدة مراحل، فكانت



قفل ومفتاح باب التوية

على رأسه، ويسير بها هكذا في موكب حتى يصل إلى القصر الهمايوني، وهناك يقدمها إلى أكبر موظفي القصر (أغادار السعادة) الذي يضعها بدوره على منضدة مغطاة بأفخر أنواع القماش، ثم تحمل إلى السلطان فيقوم بدوره بحفظها في مكان يخصص لها بالقصر.

ونظراً لعظم المناسبة، فقد كان يفد على السلطان كبار رجال الدولة والعلماء ورجال الحرس الخاص لتهنئة السلطان بهذه المناسبة.

وكان المفتاح عند حفظه يوضع داخل كيس من الحرير الأخضر المطرز بالقصب، ومن أمثلة ذلك الكيس الذي خصصه السلطان مراد العثماني لمفتاح السلطان المملوكي الصالح عماد الدين إسماعيل، والمؤرخ بسنة

الفن الإسلامي في القاهرة ومتحف طوب قابوسراي باستانبول وغيرها من المتاحف العالمية بعدد من المفاتيح التي عملت في العصر المملوكي منها مفتاح بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة منقوش عليه آيات قرآنية واسم السلطان شعبان بن حسين.

وقد قام سلاطين العثمانيين قبل أن تؤول إليهم الخلافة بعمل مفاتيح للكعبة على غرار ما عمله المماليك، وأول من عمل ذلك من سلاطين العثمانيين السلطان بايزيد الثاني، ثم سار سلاطين العثمانيين على الطريقة نفسها. وعندما غزا العثمانيون مصر نقلوا منها عدداً كبيراً من مفاتيح الكعبة التي كان يحتفظ بها سلاطين المماليك، بالإضافة إلى ما قاموا هم أنفسهم بعمله، حيث كان يتم عمل مفاتيح وأقفال جديدة للكعبة في كل عام، ويتم إرسال الأقفال والمفاتيح القديمة إلى استانبول، وذلك في موكب مهيب، كان يطلق عليه (موكب المفتاح). وفي سنة ١٩٧٩م أقام متحف استانبول معرضاً لمفاتيح وأقفال الكعبة المشرفة.

موكب المفتاح

كان موكب المفتاح يتم حسب مراسم معينة، فكان يخرج الكتخدا^(٥) في موكب إلى ساحل البارودخانة ليستقبل السفينة التي تحمل المفاتيح والأقفال القديمة، فإذا ما وصلت إلى الشاطئ تسلم الكتخدا هذه المفاتيح والأقفال من الأغا^(٦) الذي أتى بها، ثم يقبلها ويرفعها



٧٤٣هـ / ١٣٤٢م والمحفوظ في متحف طوب قابو سراي باستانبول^(١) وأحياناً كان الكيس من النسيج العادي مثل الكيس المحفوظ به مفتاح السلطان سيف الدين (ق ٨هـ - ١٤م) والمحفوظ في طوب قابو سراي أيضاً.

أنواع المفاتيح

تنوعت مفاتيح الكعبة واختلفت حسب المكان الذي خصصت له، فمنها ما كان يخصص للباب الرئيس، وكان يطلق عليه (الباب الكريم)، ومنها ما يخصص لباب الرحمة، وهو باب بداخل الكعبة يؤدي إلى سطحها، وقد تحدث عنه الرحالة ابن جبير في رحلته^(٢)، ومنها ما كان مخصصاً لباب التوبة وكان ذلك ينقش على المفتاح أو القفل، فنجد على أحد الأقفال كتابة نصها هذا قفل باب التوبة^(٣).

وكانت الأقفال والمفاتيح تحمل نصوصاً كتابية تشير إلى تاريخها، ومن أمثلة ذلك كتابات على مفاتيح محفوظة في متحف طوب قابو سراي باستانبول نصها «هذا ما عمل لبيت الله الحرام في أيام مولانا الإمام» أو «هذه مفاتيح مكة».

كما اشتملت بعض المفاتيح على آيات قرآنية وأدعية وأشعار، ومن ذلك ما ورد على قفل باسم السلطان مراد الرابع وتاريخه سنة ١٠٣٩هـ / ١٦٢٩م وعليه أبيات من الشعر، ومنها:

**أهدي إلى البيت العتيق العلي
قفلأبه نرجو فتوح البلاد**

وكذلك القفل الذي يحمل اسم السلطان عبد العزيز وتاريخه سنة ١٢٨٧هـ / ١٨٧٠م، ومما ورد عليه:

**إن الوسائل للملوك ببابهم
ووسيلتي العظمى بهذا الباب**

كما ورد على الأقفال والمفاتيح أسماء السلاطين، ومن ذلك كتابة على قفل نصها: «إبراهيم خان خلد الله تعالى ملكه». واشتملت بعض المفاتيح على عبارات التوسل مثل «يا مفتح الأبواب».

وللكتابات على المفاتيح دلالات تاريخية، فنلاحظ أنه عندما أحيا السلطان بيبرس الخلافة العباسية بالقاهرة، وكان للخليفة مكانته كان اسم الخليفة ينقش على أقفال ومفاتيح الكعبة في تلك الفترة مثل اسم الخليفة المستنصر بالله على مفتاح يرجع إلى عهد بيبرس، بينما اختفى اسم الخليفة من على مفاتيح العصر المملوكي عندما فقد الخلفاء هيبتهم وأصبحت سلطتهم اسمية فقط. ■



قفل عليه اسم

السلطان إبراهيم خالد

المراجع والهوامش:

- (١) العمري (ابن فضل الله): المسالك والممالك، ج ١، ص ١٠١.
- ابن خلدون (عبد الرحمن): المقدمة، بيروت ١٩٦١م، ص ٢٧٨.
- (٢) ناصر خسرو علوي: المرجع السابق، ص ١٥١.
- ابن جبير: الرحلة، ص ٦٨-٦٩.
- (٣) ابن بطوطة: الرحلة، ج ١، ص ١٠٥.
- (٤) عبد المنعم ماجد: نظم دولة المالك ورسومهم في مصر، ج ٢- القاهرة ١٩٦٦، ص ٤٣ وما بعدها.
- (٥) كتحدا: مصطلح يطلق في التركية على الموظف المسؤول والوكيل المعتمد والأمين، بينما تطلق في الفارسية على رب البيت (أحمد السعيد سليمان: تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من السدخيل. دار المعارف- مصر، د.ت، ص ١٧٦).
- (٦) الأغا: تطلق في التركية على الرئيس والقائد وشيخ القبيلة، وعلى الخادم الخصي الذي يؤذن له بدخول غرف النساء، (أحمد السعيد سليمان: المرجع نفسه، ص ١٧).
- (٧) يلماز (طرجان) الكعبة المشرفة - استانبول، ١٩٩٣، ص ٤٥.
- ابن جبير: الرحلة، ص ٥٩.
- (٩) يلماز (طرجان): المرجع السابق، لوحة ١٩، ص ٦٠.